بسم الله الرحمن الرحيم

علـــوم اللغـــة

دراسات علمية محكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دورى

مج ١٠، ع ٢، ٢٠٠٧

ⓒ حقوق الطبع والنشر محفوظة ، ولا يسمح بإعادة نشر هذا العمل كاملا أو أى قسم من أقسامه ، بأي شكل من أشكال النشر أو استنساخه أو ترجمته ، أو احترانه في أى شكل من أشكال نظم استرجاع المعلومات ، إلا بإذن كتابى من الناشر .

قيمة الاشتراك السنوى :

٨٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد :

٢٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة

المراسلات

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

٣٠ شارع (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦٩ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٧٩٤٢٠٧٩ - فاكس ٧٩٥٢٣٢٤

المحتويات

البحوث	الصفحة
جموع الصفات دراسة صوتية صرفية د. قباري محمد شحاتة	٩-١٣١
استعمالات (مفعول) عند اللغويين العرب (دراسة تحليلية) د. مجدي إبراهيم يوسف	١٣٣-١٦٦
ظاهرة الاشتقاق في التراث العربي د. رباح اليمنى مفتاح	١٦٧-٢٠٨
الإفراد الصوتي في الفعل الثلاثي المضعف د. محمد صالح توفيق	٢٠٩-٢٥٤
أثر الخلافات النحوية د. محمد فاضل السمراني	٢٥٥-٣٢٠

الإفراد الصوتى فى الفعل الثلاثى المضعف
دراسة لغوية مقارنة بين العربية والعبرية

د٠ محمد صالح توفيق
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

مقدمـــة :

حمدًا لله على ما أنعم ، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد وآله وسلم ٠٠ أما بعد :

فهذا البحث يهدف إلى إثبات نظرية لغوية ، دعا إليها كثير من علمـــاء اللغة قديما وحديثًا ، دون أن يحاولوا دراستها بصورة تطبيقيـــة فـــى الواقـــع اللغوى ، ودون أن يقفوا عليها فى ضوء المقارنات السامية ، وهى ظـــاهرة ، التقاء المثلين فى كلمة واحدة ويحتاج النطق بهما إلى جهد عضلى ، وطبيعـــة اللغات أنها تنزع إلى توفير الجهد المبذول فى النطق ٠ ويترتب على ذلك دمـــج بعض الأصوات بعضها فى بعضها أحيانا ، وأحيانا أخـــرى تحـــذف بعـــض الأصوات تخفيفا ، وقد نجد تغييرًا آخر وهو إبدال أحد المثلين إلى صوت آخـــر تيسيرًا على المتكلم ٠

وفى هذه الدراسة عدة أشياء أعتقد أنها جديدة : منها الاقتصـــار علـــى تناول هذه الظاهرة فى الفعل الثلاثى المضعف ؛ لأننى وجدت ما ورد من أمثلة عربية وعبرية قد ركزت على الفعل المزيد بالتضعيف والمضعف الربـــاعى ٠ ومن الجديد أيضًا أننى لم أوسع من دائرة المقارنة ، وقصرتها على لغتين فقـــط هما العربية والعبرية ؛ إذ إن التشابه بينهما يكاد يكون تامًـــا علـــى مســـتوى الدراسة الصوتية ، وبينهما شبه اتفاق فى النسيج المقطعى للمفردات ، مما يؤكد

وحدة الأصل بين اللغتين العربية والعبرية . وسوف نسير فى المقارنة بذكر ما جاء فى العربية أولا ، ثم إتباعه بما جاء فى العبرية فى مباحث ثلاثة هى :

- المبحث الأول : إدغام الصوتين المثلين فى الفعل الثلاثى المضعف .
- المبحث الثانى : حذف أحد المثلين فى الفعل الثلاثى المضعف .
- المبحث الثالث : إبدال أحد المثلين فى الفعل الثلاثى المضعف .

إن مما يسوغ لنا بحث هذه الظاهرة فى ضوء المنهج اللغوى المقارن أن أدوات البحث اللغوى ومناهجه قد تيسّرت ونمت ، وسنعمل جاهدين على الإفادة من هذه الأدوات فى زيادة الإضاءة حول هذه الظاهرة ؛ لكي نستكمل الصورة المرجوّة ، ونستجلى معالمها التى لم تستطع أدوات البحث القديمة جلاءها .

وبعد : فما كان فى هذا البحث من صحة وصواب فهو من الله وبتوفيقه، وما كان فيه من خطأ فهو من نفسى ومن الشيطان ، وأبرأ إلى الله منه ، وأسأله سبحانه أن ينير بصائرنا ، ويسدد خطانا ، ويهيئ لنا من أمرنا رشدًا .

وهو ولى التوفيق ،،،

المبحث الأول

إدغام المثلين فى الفعل الثلاثى المضعف

مصطلح "الإدغام" مصطلح مهم فى الدراسات اللغوية ، إذ هو مصطلح يتكرر فى جل المباحث اللغوية التى تعرض للتراث العربى ، وقد آثرنا استخدام هذا المصطلح ، ولم نأخذ بالمصطلح الحديث الموضوع له وهو "المماثلة" ، فقد بان لنا أن "المماثلة" أعم وأشمل مما يريد أن يعالجه هذا البحث إذ إنه مصطلح يندرج تحته إدغام المتماثلين وأيضا إدغام المتقاربين أو المتجانسين ، ولذا حددنا المقصود بكلمة (المثلين) • ولعل هذا الاستخدام يبعد عنا مظان التقصير فى تناول ظاهرة الإدغام المتسعة الأرجاء المتعددة الجوانب فى الأمثلة العربية والعبرية •

ونزيد الأمر إيضاحًا بمقولة "برجشتراسر" التى تحدد الفارق بين المماثلة والإدغام ، حيث ذكر "أن التشابه والإدغام وإن اتفقا فى بعض المعانى اختلفا فى بعضها ، وذلك أن معنى الإدغام : اتحاد الحرفين فى حرف واحد مشدد تماثلاً أو اختلافًا نحو : "أمنّا" و"ادّعى" • أما "أمنّا" فالنون المشددة نشأت عن نونين ، أولاهما لام الفعل ، والثانية الضمير ، فاتحادهما إدغام وليس بتشابه • وأما "ادعى" فأصل الدال المشددة دال وتاء ، والدال فاء الفعل ، والتاء تاء الافتعال قلبت دالا ، فهذا إدغام ، وهو تشابه أيضا "[1] .

وتعدّ ظاهرة إدغام المثلين من الظواهر الحية التى عرفتها اللغتان العربية والعبرية كإحدى ظواهر السياقات الصوتية فى الفونولوجيا • وقد فطن اللغويون العرب إلى هذه القيمة الصوتية لإدغام المثلين ، وأشار إليها سيبويه بقوله : "وضع اللسان للحرفين المدغم أحدهما فى الآخر موضعًا واحدًا لا يزول عنه" • وأجده قد ركز على أمرين فى غاية الأهمية ، أولهما ما يحققه الإدغام

من الاقتصاد العضلى فى نطق المثلين المتتاليين فى الكلمة ، وآخرهما أنه أشار إلى سبب الإدغام ، وهو أن العرب يستثقلون النطق بحرفين مثلين أحدهما بعد الآخر مباشرة بسبب ما يتطلبه ذلك من استعمال ألسنتهم من موضع واحد ، ثم يعودون إليه ، وأتمّ سيبويه بيانه بقوله : "... ولم يبنوهن على فعالل كراهية التضعيف ، وذلك لأنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ، ولا تكونوا مهلة كرهوه ، وأدغموا لتكون رفعة واحدة ، وكان أخف على لسانهم مما ذكرت"(٣) .

ولا يغيب عن البال أن الإدغام الذى يحدثه المتكلم يفهمه السامع ، مما يدل على أنه إجراء صوتى فيه التسهيل والاقتصاد فى النطق ، حتى بلغ الإنسان العربى إلى أنه يبدل الحرفين المدغمين بآخرين مدغمين أيضا ، كما قيل "علجّ" بدلا من "عَلِىّ" . وحين لا تطمئن النفس إلى الإدغام ، أو تحسّ أنه سيؤدى إلى اللبس فإنها تنصرف عنه ومن ذلك مثلا قول الله تعالى : ﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾ [القيامة /٢٧] فقد أظهرت النون الساكنة هنا ، حتى لا يذهب الذهن بعيدًا عن معنى الآية حين نقرؤها بالإدغام (مِرّاق) ، ولذلك نقف قليلا على النون إمعانًا فى إظهارها .

ويتضح لنا من خلال المقارنة لظاهرة إدغام المثلين بين اللغتين العربية والعبرية أن كلتا اللغتين تجنحان إلى تحقيق ذلك بناءً على رغبة لدى المتكلم ، تميل إليها النفس ، حتى صارت هذه الرغبة ترقى إلى مستوى القاعدة فى اللغة العربية ، وقد أشار ابن جنى إلى شئ قريب مما أتصور حين قال : "ومن الأمر الطبيعى الذى لابدّ منه ، أن يلتقى الحرفان الصحيحان فيسكن الأول منهما فى الإدراج ، فلا يكون حينئذ بد من الإدغام ، نحو قولك : شدّ ، وصَبّ ، وحلّ ، فالإدغام واجب لا محالة"(٤) .

وإذا أردنا تفسير التغييرات الصوتية التى طرأت على الفعل الماضى الثلاثى الصحيح ، الذى عينه ولامه من جنس واحد ، وقد أدغم المثلان فيه ،

فإنا نلاحظ أن الصيغة الفعلية تتركب من ثلاثة مقاطع ، هى مقـــاطع قصـــيرة مفتوحة نحو مـــَ / دَ / دَ mα / dα / dα

وعند إدغام المثلين تسقط حركة العين ، وينتج عن ذلك أن عين الفعل والتـــى كانت بداية المقطع الثانى تصبح نهاية مقطع مغلق ، وبذلك تقل عـــدد مقـــاطع الصيغة إلى مقطعين حين أقول

مَدَّ ⟵ مَدْ / دَ mαd/dα

ولا يخفى علينا هنا مافى ذلك من اقتصاد فى المجهود العضلى لأعضاء النطق، وخفة فى الصيغة المتطورة ٠

وهذا التفسير الصوتى الحديث يشعرنا أن علماء العربية القدامى كـــانوا على علم بالأسس الصوتية التى شهدها زمانهم ، وذكّروا لنا تفسيرات منطقيـــة أيدها الدرس اللغوى الحديث ٠

إن ظاهرة الإدغام هنا مبنية على الصلات التى تربط هذه الأصـــوات بعضها ببعض ، فهى مشروطة بتجمع صوتى معين هنا - موقع المثلين مكـــان عين الفعل ولامه - ويتطلب الاستعمال اقتصاداً فى المجهود العضلى ويحقـــق انسجامًا فى موسيقى اللغة ٠ وهذا التأثر الصوتى وما تبعه من إدغام للمثلين فى الفعل الماضى الثلاثى الصحيح حافظت عليه اللغة العربية فى صيغة المضـــارع فى أبواب ثلاثة على النحو التالى :

أ-باب (نصر ينصر) نحو : (ردَّ يرُدّ) ، (شدّ يشُدّ) ٠

ب-باب (ضرب يضرب) نحو : (فرّ يفِرّ) ، (شذّ يشِذّ) ٠

ج-باب (فرح يفرح) نحو : (ملّ يمَلّ) ، (ظلّ يظَلّ) ٠

ومن السماع وجود أفعال قليلة من باب (كرُم يكرُم) نحو : (لبّ يلُبّ) و"عـــزّت الناقة تعُزّ " أى : قلّ لبنها ٠

والأصل فى هذه الأفعال توالى المثلين (يرْدُد ، يشدُد ، يفْرِر ، يَشْـذِذ ، يَمْلل ، يظلِل ، يلبُب) ولما ثقل توالى المثلين لدى العرب هنا نقلوا حركة المثل الأول إلى الساكن الذى قبله ، فتحرك الساكن بالحركة المنقولة إليه ، وسكن المثل الأول وأدغم فى الثانى ، وليس لدينا فى هذه الصيغة اختصار فى المقاطع وإنما لدينا تغيير فى نوعها على النحو التالى :

رَدَّ يرُدّ ← يَرْدُدْ يَرْ / دُ / دُ

yαr / du / du ← yα /rud / du

ومن الملاحظ هنا وجود ثقل فى الصيغة الأصلية التى تتكون من مقطع قصير مغلق تلاه مقطعان كلاهما قصير مفتوح مثلان ، وفى ذلك ثقل بسبب توالى المثلين ، وحين تمّ الإدغام تكونت الصيغة من مقطع قصير مفتوح ، تلاه مقطعان مختلفان ، الأول قصير مغلق والثانى قصير مفتوح ٠

ومن الملاحظ أيضًا أن الحرفين المثلين متحركان - العين واللام - أما إذا كان المثل الثانى ساكنا فلا يتم الإدغام حتى لا يلتقى ساكنان نقول : مَدَدْنَ يمدُدْن ، مَلَلْن يَمْلُلْن ٠ وهكذا ٠

وقد ذهب أهل الحجاز إلى أنه "إذا سكن الثانى لوقف أو جزم ردوا إلى الحرف الذى قبله حركته ، فسكن الأول فقالوا : "يردُد ، ويعضَض ، ويفْرِر" فإن كان أمرًا اجتلبوا له ألف الوصل فقالوا : "امدُد ، واعضَض ، وأفرِر[٥] ٠

ويبدو لنا أن نطق أهل الحجاز فى المضارع المجزوم والأمر يمثل الأصل القديم ، وأن نطق أهل تميم "مُدّ ، عَضّ ، فِرّ "يمثل التطور" الصوتى الذى يلجأ فيه العربى إلى تخفيف الصيغة ، واختصارها صوتيا ، وضحّ ذلك سيبويه بقوله : "أما ما كانت عينه ولامه من موضع واحد فإذا تحركت اللام منه، وهو فعل ألزموه الإدغام ، وأسكنوا العين ، فهذا متلئبّ فى لغة تميم وأهل

الحجاز . فإن أسكنت اللام فإن أهل الحجاز يجرونه على الأصل ، لأنه لا يسكن حرفان . وأما بنو تميم فيسكنون الأول ويحركون الآخر ، ليرفعوا ألسنتهم رفعة واحدة ، وصار تحريك الآخِر على الأصل"[٦] .

ومن المعلوم لدينا أن الصيغة الحجازية الأصلية (لم يَمْدُد - امدُد) هى الصيغة الأقل استعمالا فى العربية ، ويبدو أن الصيغة التميمية المتطورة (لم يُمدّ - مُدّ) هى الأكثر استعمالا لدى العرب ، وكأنها صيغت قياسًا على المضارع المنصوب (لن يُمدَّ) حتى لا يكون الحرف الأخير ساكنا ، مما يتطلب وجود ساكنين فى المقطع الأخير وهذا ما ندر فى العربية .

ونأتى إلى الحديث عن الفعل الثلاثى الصحيح الذى لامه وعينه من جنس واحد فى اللغة العبرية ، فنجد أن الفعل الماضى قد ورد فى صورتين إحداهما تظهر العين واللام التى من جنس واحد ، وتشكل الحروف الثلاثة تشكيل الفعل المجرد السالم ، ومن أمثلة ذلك .

- קָלַל خفّ ، سهل דַּק دقّ

- הֵחֵל بدأ ، شرع מָשַׁשׁ مسّ

ومن خلال هذه الصورة يتضح لنا محافظة العبرية على الشكل الكتلبى الأصلى بتوالى المثلين الصحيحين ، وظهور الأصل الثلاثى للفعل .

أما الصورة الأخرى للفعل الماضى العبرى فقد وُجد فيها الإدغام وبخاصة عند إسناد الفعل إلى الضمائر نحو סַבּוֹתָ أحاطوا . وفى حالة الغائب تصبح الصيغة סַב بإطالة حركة الفاء ، كأنها عوض عن ظهور الإدغام ولذلك تقصر القامص إلى باتح عند الاتصال ضمائر الرفع סַבּוֹתָ أحطت .

وقد شرح ابن جناح العبرى هذه المسألة بقوله : "كذلك جعلوا الأصل فى סבב السين وأحد المثلين فقط ، ولم يعتدوا بالمثل الثانى لسقوطها من יסבבו וכדומה وغيرها من أمثال هذا الفعل فى جميع الأفعال ذوات المثلين . وقد أقام ابن زكريا البراهين على غلطهم فى هذا ، وفى مثلها من الأفعال المعتلة ، والأفعال ذوات المثلين"(٧) . وقال أيضا : "وقد يظهرون هذا المثل ولا يدغمونه وإن كان ساكنا ، قالوا : סבבה אותו - הקיפוהו يشوع ١٥/٦ "(٨) .

ويفهم من كلام ابن جناح أن التماس الخفة فى النطق بإدغام المثلين ليس ظاهرة مطردة فى اللغة العبرية سواء تحرك المثل الأول أو سكن فى حين أن العربية يطرد فيها إدغام المثلين عند سكون الأول .

كما جاءت فى اللغة العبرية صورتان للفعل الثلاثى المستقبل الذى عينه ولامه من جنس واحد .

الصورة الأولى : شائعة ، وهى إدغام المثلين عند إسناد المستقبل إلى الضمائر، مثل ذلك .. יסב - תסב - יסבבי - תסבבי

الصورة الثانية : عدم ظهور الإدغام مع صيغ الغائب والغائبة والمخاطب ، والمتكلم ، مثال ذلك .. יסב - תסב - אסב

ويبدو أن الإدغام هنا لا يظهر لعدم وجود حركة الإعراب فى آخر الفعل العبرى ، عكس اللغة العربية الذى يبنى الفعل الماضى على الفتح عند عدم اتصال آخره بشئ . وما زالت لدنيا العامية تخلو من علامات الإعراب والبناء مما جعلها تتشابه مع العبرية فى نطق الفعل الماضى الثلاثى المضعف يقال : دُقْ على الباب - حِبْ الناس .

ويبدو لنا أن عدم ظهور الإدغام مع الفعل المستقبل المسند للغائب والمخاطب والمتكلم قد ساد فى اللغة العبرية ، فوجدنا صيغا من الأفعال المسندة للضمائر قد نطقت مخففة من الإدغام ، وكذلك اسم الفاعل نحو : סֹבְבִים تدورين ، סוֹבֵב دائر ، فى حين يظهر المثلان فى اسم المفعول סָבוּב مُحاط .

ومع ذلك فإن النظرة السريعة فى القواميس العبرية ترينا عدداً من الأفعال المضعفة يظهر فيها المثلان دون إدغام ، وهذه بعض الأفعال (أسوردها من باب الحاء) التى يتضح مجيئها على الأصل :

חָבֵב	ودّ	חָמַם	حمّ
חָגַג	عيّد	חָנַן	حنّ
חָדַד	حدّ	חָצַץ	حجز
חָזַז	لمع	חָקַק	نحت
חָטַט	حفر	חָרַר	حرّ
חָכַךְ	حكّ	חָשַשׁ	خشّ
חָלַל	بدأ	חָתַת	فزع

هذه الأمثلة السابقة وغيرها تدل على أن هذه اللغة حافظت على توالى المثلين فى صيغة الماضى الغائب ، وبقى هذا الأصل الثلاثى فى مصادر هذه الأفعال نحو : חָבוֹב ودّ חָדוֹד حدّ

وفى اسم الفاعل أيضا نحو : חוֹזֵז لامع חוֹלֵל بادئ

وقد قسّم "وليم هربير" الأفعال المضعفة الثلاثية الواردة فى العهد القديم إلى قسمين :

١-أفعال تامة مثل :

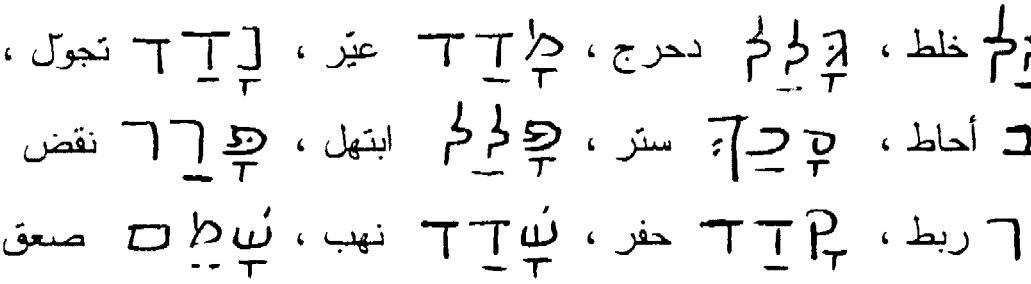

٢-أفعال غير تامة مثل :

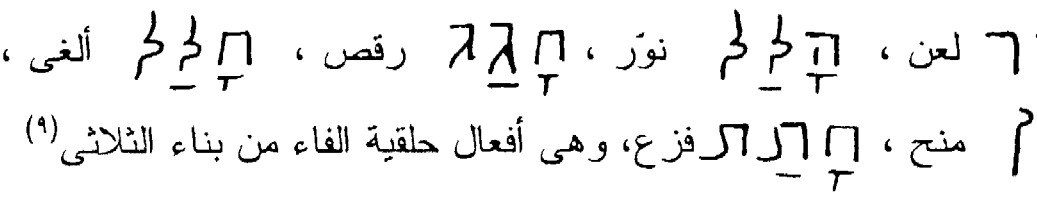

وهى أفعال حلقية الفاء من بناء الثلاثى[٩]

ويبدو لنا أن اللغة العبرية خطت خطوة أخرى نحو إدغام المثلين عند إسناد هذه الأفعال إلى الضمائر ، وذلك للتخلص من الثقل الموجود فى نطق المثلين ، كما يقول ابن جناح : "إن العبرانيين كثيرًا ما يستثقلون إظهار مثلين متواليين فى كلمة واحدة ، فهم يدغمون أحدهما فى الثانى إذا وجدوا فى ذلك سبيلا"[١٠] . وقال أيضا : "واعلم أنه كثيرًا ما يستصعبون أن يتوالى فى كلمة واحدة حرفان يكونان من مخرج واحد ، لصعوبة النطق بذلك ، وإنما الاطراد على توالى حروف مختلفة المخارج إذ ذلك أخف على اللسان" [١١] .

وليس من الإسراف أن نستنبط من نص ابن جناح ، وإلحاحه على إظهار المثلين ، وتأكيده على أن الإدغام جائز عند العبرانيين متى وجدوا إلى ذلك سبيلا ، أن السائد فى العبرية ثلاثية هذه الأفعال ، والنطق بها فى صورة ثنائية أحيانا يتم بإطالة حركة الفاء التى تمثل العوض عن التشديد وغالبًا ما يضيع الإدغام من آخر الفعل ، وعند عدم إسناده إلى الضمائر إذ إن الإدغام فى واقع الأمر هو نوع من الاختصار النطقى ، والكتابى ، حيث يغلق أول المثلين

مقطعًا ، ويبدأ المقطع الثانى بثانى المثلين ، ولذا لجأت العبرية أحيانا إلى عدم اعتماد الإدغام فى تطور الصيغة الفعلية هنا ٠

ونودّ أن نشير هنا إلى بعض المسائل التى تتعلق بحقيقة الصوت المدغم ، بعد أن تكشفت لنا بعض الحقائق العلمية خلال هذه الدراسة :

١-لدينا عدد من علماء اللغة المحدثين ذهب إلى أن الصوت المضعف هو صوت صامت طويل ، وليس صوتين مثلين من جنس واحد ، ومن هؤلاء ماريوباى[١٢] ، وفندريس[١٣] ، وكانتنيو[١٤] ، ومن تابعهم من لغويى العرب[١٥] ويبدو لى أن الإدغام ليس فيه إطالة للصوت المدغم ، فهو يقوم مقام حرفين ، وقد أثبتت التجارب الصوتية المعملية وجود حدّ مقطعى يقسم المدغم قسمين ، يأتى الأول منهما نهاية لمقطع ، والثانى بداية لآخر ٠ وقد عامل علماء الصرف والتجويد الصوت المدغم معاملة صوتين ، كما عدّ أهل العروض المشدد حرفين ، وجعلوا تخفيفه من ضرائر الشعر ٠ ونخلص من كل هذا إلى أن الصوت المضعف فى العربية والعبرية هو نتيجة وجود صامتين فى الأصل ، روعى فيهما النطق دفعة واحدة لتيسير النطق ، والاقتصاد فى المجهود العضلى المبذول فى نطق المثلين ٠

٢-تأكد لدينا ثلاثية الأفعال المضعفة فى أصولها وتطورها فى اللغتين العربية والعبرية ، ولدينا بعض الأمثلة العبرية التى تؤكد أن الإدغام يمثل صورة من صور الانسجام الصوتى فى حياة اللغة العبرية ، ولذلك رأيناه من الجائز ، ولم يصل إلى درجة الإلزام الذى رأيناه فى اللغة العربية ٠ وكما يقول ابن جناح العبرى : "اعلم أن المثلين إذا كانا متجاورين فى كلمة واحدة ، وسكن الأول منهما فإدغامه فى الثانى جائز ٠ وتأويل قولنا حرف مندغم ، أى أنه لا حركة تفصل بين المندغم

وبين المندغم فيه ، وإنما يعتمد لهما فى اللسان اعتمـــادة واحـدة ؛ لأن المخرجْ واحدٍ ، ولا فصل بينهما ، وذلك مثل قولك הַדּ

أصله הַדְּ بسكون المثل الأول" (١٦) .

٣-اتسع نطاق إدغام المثلين فى العربية ، وصار شائعًا على حساب الإظهار فى حين أن العبرية قد قلّ فيها الإدغام ، واتسعت فيه دائـــرة الإظـــهار للمثلين المتتاليين . وفى كل الأحوال فإن وجود المثلين فى الفعل الثلاثى مما يدل على قدم هذه الصيغة التى حـــافظت علىـــها اللغتـــان العربيـــة والعبرية . أما الصيغة التى وُجد فيها الإدغام فإن الدلائل تشير إلى أنـــها الصيغة الثلاثية المتطورة ، وقد أثبتت الدراسة المقطعية أن اللغتين قـــد سعت إلى هذا التطور لاختصار المقاطع المنطوقة ، ولتيسير النطـــق ، بالبعد عن النطق بمقطعين متماثلين .

* *

المبحث الثانى

حذف أحد المثلين فى الفعل الثلاثى المضعف

من التطورات الصوتية التى يتعرض لها الصوتان المثلان أن يحذف أحدهما كراهة اجتماعهما مع تعذر الإدغام ، وكما يقول بروكلمان : "إذا توالى مقطعان أصواتهما الصامتة متماثلة أو متشابهة جدا ، الواحد بعد الآخر فى أول الكلمة فإنه يكتفى بواحد منهما بسبب الارتباط الذهنى بينهما"(١٧) .

والمعروف أن الحذف ظاهرة لغوية عامة تقع فى أكثر اللغات ، حيث يميل الناطقون إلى إسقاط بعض العناصر الصوتية التى يمكن معرفتها من بقية أجزاء الكلمة . واختصت العربية بكثرة وقوع الحذف فى كلماتها لما عرفت به من الإيجاز والاختصار ، ولذا وقع الحذف فى مستويات اللغة الثلاث (الأصوات - الصرف - النحو) ، ولخص ذلك ابن جنى بقوله : "وقد حذفت العرب الجملة ، والمفرد ، والحرف ، والحركة ، وليس شئ من ذلك إلا عن دليل عليه ، وإلا كان فيه ضرب من تكلف بعلم الغيب فى معرفته"(١٨) .

والآن نحاول أن نتبين استخدام طريقة أخرى للتخفيف من ثقل المثلين فى العربية والعبرية ، مع التركيز على الفعل الثلاثى المضعف ، وأمثلته ، وربما تطرقنا إلى تناول بعض الأفعال المزيدة هنا لزيادة إيضاح الظاهرة التى معنا .

أولاً : عين الماضى الثلاثى المضعف عند إسناده لضمائر الفاعلية

لدينا فى اللغة العربية أفعال ثلاثية مضعفة نحو : (ظلّ ، قرّ ، مسّ ، ملّ) والأصل فى هذه الأفعال عند إسناده لضمائر الفاعلية أن يذكر المثلان ،

فيقال : (ظِلِلت - قرِرت - مسِست - ملِلت) وجاز فى هذه الصيغ حذف العين وحركتها ، وتبقى فاء الفعل مفتوحة قال الله تعالى : ﴿ فَظَلْتُم تَفَكَّهُونَ ﴾ [الواقعة /٦٥] ـ وأجاز أكثر النحاة والصرفيين حذف العين ونقل حركتها - وهى الكسرة - إلى فائه ، وقرئت الآية بالكسرة (فظلتم) . قال ابن منظور : "ومن العرب من يحذف لام ظلِلت ونحوها حيث يظهران ، فإن أهل الحجاز يكسرون الظاء على كسرة اللام التى ألقيت ، فيقولون ظِلنا وظلتم ... قال تعالى ﴿ ظلَت عليه عاكفا ﴾ وقرئ ظِلت ، فمن فتح فالأصل فيه ظلِلت ، ولكن اللام حذفت لثقل التضعيف والكسر ، وبقيت الظاء على فتحها ، ومن قرأ ظِلت بالكسر ، حوّل كسرة اللام على الظاء ، ويجوز فى غير المكسور نحو هَمْت بذلك أى هممت ، وأحَسْت بذلك أى أحسسْت قال : وهذا قول حُذّاق النحويين"[١٩] .

وفى هذه المسألة خلاف بين القدماء من النحاة وابن مالك ومن أتى بعده، ملخصه :

أ-يرى سيبويه ومن وافقه أن الحذف فى نحو : "ظَلْت ومَسْت" من "ظَلِلت ومَسِسْت" شاذ ، والتصحيح هو القياس .

ب-يرى ابن مالك ومن أتى بعده قياسية هذا الحذف ، ولكن ابن مالك اضطرب رأيه فى تعيين الحرف المحذوف ، فيرى فى (الكافية الشافية) أن المحذوف هو اللام إذ قال "ومحذوف اللام مفتوح الفاء ، نحو : ظَلت ، ومحذوف اللام مكسور الفاء نحو : ظِلت ، ويرى فى (التسهيل) أن المحذوف عين الكلمة ، إذ قال : "ويجوز له" فى لغة سليم حذف عين الفعل الماضى المضاعف المتصل بتاء الضمير أو نونه"[٢٠] .

والذى يهمنا هنا هو أن الحذف قد تم لأحد المثلين للتخفيف ، وكراهة اجتماع المثلين مع تعذر الإدغام ، لاتصال الضمير بالفعل ، وهذا الحذف فى

الماضى أكثر منه فى المضارع والأمر . ويبدو لنا أن الحذف هنا جاء قياسًا على الفعل الماضى الأجوف فى مثل (قُمت ، بِعت ، نِمْتُ) وغير ذلك من الأمثلة وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض علماء النحو المتأخرين قد ذكر أن الحذف فى ظَلْت فصيح لكثرة استعماله ، بخلاف أمست وأحست[٢١] .

وقد دلت الموازنة بين العربية والعبرية على أن هذا الحذف قياسي بدليل مجيئه فى العبرية على هذا النحو ، حيث تسقط لام الفعل المضعف عند إسناده إلى الضمائر فى الزمن الماضى ، نقول فى صيغة الماضى الغائب סַב (أحاط) و גָּרַם (دحرج) و בָּחַר (اخترت) من الفعل בָּחַר (اختار) وتجئ بدون المثلين בַּר . كما يجئ الحذف مع الفعل المستقبل مع الغائب يقال יָסֹבּ (يدور) .

وأخيرًا فإن النتيجة التى توصلنا إليها هى أن مجئ المثلين فى الصيغة هو الأصل ، والإدغام مرحلة تالية لها ، وفى مرحلة زمنية ثالثة حدث الحذف بسبب كثرة استعمال هذه الأفعال ، ، وتعرّضت الأفعال العبرية لضياع علامة الإعراب من آخرها ، والميل إلى السهولة والتيسير فى النطق ، وقد أشار "بروكلمان" إلى أن هذا الحذف قياس ، وهى إشارة علماء العربية القدامى ، حين قال : "وفى العبرية يظهر القياسي على الأفعال الصحيحة فى صيغة الغائب من الوزن الأصلى المتعدى ، مثل : ḥánan (رحم) ، ولكن عند الاتصال بضمائر النصب مثل : ḥannáni (رحمنى) ... وفى فعل الأمر اختفى المفرد الأصلى subub تماماً ، وحل محله : subb > sōb قياسًا على الجمع : subbū > sobbū ... ولا توجد إلا نادرًا الأبنية الأصلية ، فى الصيغ المتصلة بضمائر الرفع المبدوءة بصوت صامت ، مثل bázaznū "سلبنا" (سفر التثنية ٣٥/٢) ؛ فقد قيست هذه الصيغ عمومًا على الأفعال المعتلة اللام بالواو"[٢٢] .

وهكذا نلحظ فى اللغتين العربية والعبرية اتفاقًا فى اللجوء إلى حذف أحد المثلين للتخفيف ، ولتيسير النطق ، وفى اللغتين أمثلة وافرة لها تفسيرات صوتية تمليها على نحو قياسي ، ونذكر منها :

- ظلِلت ← ظلت ← zeliltu ← zaltu ← تم حذف مقطع كامل للتخفيف وهو (Li)

- ظَنَنْتُ ← ظَنْت ← zanantu ← zantu ← تم حذف مقطع كامل هو (na) للتخفيف ، وهذا هو الشائع

- ṣábabtī ← ṣabbōtī ← ṣábōtī

ومن الملاحظ أن العبرية فى تطورها تخلصت من المثلين بالإدغام ، ثم تخلصت من الإدغام بمدّ الحرف الثانى بدلا من تشديده ، أو إبدال أحد المثلين حرفا متوسطه أو لينا أو حرفا حلقيا ، وهذا ما سنوضحه فى المبحث الثالث .

ونلخص بعض المسائل التى يحذف فيها أحد المثلين ، ولكنها ليست ذات اتصال مباشر بالفعل الثلاثى المضعف الذى نحن بصدد الحديث عنه .

١- "تَفَعَّلُ" بدلا من "تَتَفَعّل" ، و "تَفَاعَلُ" بدلا من "تتفاعل" .

ومن أمثلة حذف تاء "تَتَفَعّلُ" فى القرآن الكريم أن كلمة (تذكّرون) قد وردت ١٧ مرة بالحذف ، فى مقابل (تتذكرون) ٣ مرات بلا حذف ، وأيضا لدينا كثير من الأفعال التى على وزن (تتفاعل) وحذف منها أحد المثلين نحو قوله تعالى ﴿ وَلاتَنَابَزُوا بِالأَلْقَاب ﴾ [الحجرات /١١] . ولكن اللغة العبرية تحتفظ بالمثلين فى نحو לִתְלַמֵּד (تتعلم) ، הִתְכַּתֵּב (اكتتب) .

٢-اجتماع المثلين (نون الرفع مع نون الوقاية التى تسبق ياء المتكلم) ، وقد تحذف إحدى النونين تخفيفا، نحو : الطلاب يحبّونى ، بدلا من يحبوننى .

وقد ورد ذلك فى الحديث النبوى الشريف : (والذى نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا" [٢٣] أى " لا تدخلون ، لا تؤمنون ؛ لأن (لا) نافية ، وهى لا تعمل شيئًا عن الفعل ٠

وقد ذكر سيبويه أن بعض القراء قرأ : "أتحاجّونى" و"فبم تبشرون" وهى قراءة أهل المدينة ، وذلك لأنهم استثقلوا التضعيف"[٢٤] ٠

ولدينا فى اللغة العبرية نون الوقاية التى تستخدم للفصل بين الفعل وضمير المفعولية المتصل ، ولكن لا توجد نون الرفع ، لأن العبرية ليست إعرابية ، ومن أمثلة ذلك 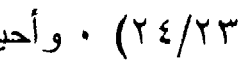 (خروج ٢٣/٢٤) ٠ وأحيانا نجد لام الفعل نونا ، وحين يتصل الفعل بضمير المتكلمين ( ) يحدث الإدغام كما فى الفعل أعطى نقول : أعطينا ، ومثل صغُر 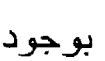 صغُرنَ ٠

ومما ذكره بعض المتخصصين فى العبرية، ومما له صلة بوجود مثلين "حذف نون الوقاية من صياغة بعض التركيبات ؛ فاستخدام يعادل استخدام : 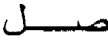 دلاليا ٠ ومع أداة الوجود : تفصل نون الوقاية بين الأداة ومعظم الضمائر المتصلة نحو :

، 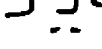 ، ،

 ، ٠ [٢٥]

٣-حذف نون الوقاية قبل ياء المتكلم مع الحروف الناسخة :

من ذلك " إنىّ ، لكنىّ ، كأنّى " بدلا من "إننى ، لكنّنى ، كأننى" وقد ذكر "الجوهرى" أن "إنىّ وإنّنى بمعنى ، وكذلك : كأنّى وكأننى ، ولكنّى ولكنّنى ؛ لأنه كثر استعمالهم لهذه الحروف ، وهم يستثقلون التضعيف فحذفوا النون التى تلى الياء"[٢٦] ٠

وما يشبه ذلك فى العبرية أداة النفى לֹא التى يلحق بها الضمير ونون الوقاية ، فيلتقى بذلك المثلان ، يقال : לֹא־תָּ (لست) و לֹא־תָּנוּ (لسنا) ، وقد تحذف نون الوقاية قبل الضمير فيقال : לֹא־תָּ .

لقد أوضحت المقارنة بين اللغتين أن وجود المثلين يمثل الثقل فى النطق، فلما اجتمع هذا الثقل آثروا تخفيفه بحذف أحد المثلين ، وقد رجح أكثر النحاة أن المحذوف هو العين وليست اللام فى مثل (ظِلْتُ ، مِسْتُ) . والقاعدة العامة فى هذه المسألة تنص على ضرورة الحذف للتخفيف ، وللتخلص من اجتماع المثلين أو الإدغام .

* *

المبحث الثالث

الإبدال من أحد المثلين فى الفعل المضعف الثلاثى

عنوان هذا المبحث يتضمن وجود مثلين فى الكلمة أو حرفين مدغمين أحدهما فى الآخر بعد حذف الحركة القصيرة التى كانت بينهما ، وتحويل أو قلب أول المثلين إلى حرف من حروف اللين ، أو الحروف المتوسطة ، أو حروف الحلق أحيانا • هذا الإبدال من أحد المثلين أو من المدغمين له تأثير كبير فى بنية الكلمة فى العربية والعبرية ، فالمادة اللغوية الأصلية تحمل المعنى الأصلى ، وبعد الإبدال تحمل معنى جديدًا ، مما يوحى بأن الصيغة المبدلة قد استقلت عن الصيغة الأم •

وأحسب أن دراسة مثل هذه الظاهرة قد حظى باهتمام كثير من الباحثين العرب منذ زمن الخليل بن أحمد ، مرورًا بأبى الطيب اللغوى صاحب أول كتاب فى الإبدال ، وابن السكيت ، وانتهاء بالباحثين المحدثين الذين درسوا الإبدال فى مؤلفات مستقلة[٢٧] • ثم عمّمت النظرات المقارنة للغات السامية بيان هذه الظاهرة ، وألقت بعض الأضواء على كثير من مواد اللغة ، وقد عالج بعض هذه المواد الدكتور "ربحى كمال" فى كتابه "الإبدال فى ضوء اللغات السامية - دراسة مقارنة" • وليس المقصود فى هذا البحث أن تستقصى الظاهرة، وأن تحصر الأمثلة لها ، ولكننا نريد أن نتناولها من خلال إبدال أحد المثلين بما يكفى لإيضاح لجوء اللغة إلى الاقتصاد فى الجهد العضلى ، وتيسير النطق •

وقد فطن علماء العربية القدامى إلى وجود هذه الظاهرة فى لغتهم العربية ، وعبروا عنها بمصطلحاتهم المألوفة لديهم ، وهى "كراهة التضعيف

"كراهية اجتماع الأمثال" "كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد" [٢٨] وهذه المصطلحات قابلها علماء الأصوات المحدثون بمصطلحات جديدة هى "المخالفة - المفارقة - التباين - المغايرة" وما زال المصطلح الأكثر شيوعًا هو Dissimilation الذى ترجمة العلماء بـ "المخالفة" وهو يعنى إزالة أو سلب المماثلة بإضافة Dis إلى الكلمة assimilation ٠ وصار مصطلح "المخالفة" هو السائد فى كتب علماء الأصوات فى العصر الحديث ٠

ولن أفصل القول فى المخالفة ، لأن البحث مخصص فى التخلص من المثلين فى بنية واحدة هى الفعل الثلاثى المضعف ، وعلى ضوء هذا التحديد سأقدم تقسيمًا لإبدال أحد المثلين مع التركيز على الحرف المبدل الذى حلّ محل أحد المثلين ٠

أولاً : الإبدال من أحد المثلين أحد الحروف المتوسطة :

الراء واللام والنون تخرج من حيز واحد ، أطلق عليها الخليل بن أحمد مصطلح "ذلقية" ، لأن مبدأها من ذلق اللسان ، وهو تحديد طرفى ذلق اللسان ٠ كما أشار سيبويه إلى هذه الأصوات على أنها من مخرج واحد ، وعرفها بـ "اللثوية" وهو الوصف الذى ارتضاه علماء الأصوات المحدثون[٢٩] يقول الدكتور "إبراهيم أنيس" : "أوجه الشبه بين أفراد هذه المجموعة الفرعية كما يراه المحدثون ، فهو أنها مع قرب مخارجها تشترك فى نسبة وضوحها الصوتى ، وأنها من أوضح الأصوات الساكنة فى السمع ، ولهذا أشبهت من هذه الناحية أصوات اللين ، فهى جميعًا ليست شديدة ، أى لا يسمع معها انفجار، وليست رخوة فلا يكاد يسمع لها ذلك الحفيف الذى تتميز به الأصوات الرخوة ، ولذلك عدّها القدماء من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة "[٣٠] ٠

وقد ذهب الدكتور "أحمد مختار عمر" إلى أن الكلمات العربية الكبيرة البنية التى تشتمل على راء أو لام أو نون أو ميم قد تولدت نتيجة عامل المخالفة بين صوتين متماثلين ، ومثل لذلك بعدة أمثلة منها (حرجل وحجّل) و(جلمد وجمّد) ، و(عنكب وعكب) و (عرقب وعقّب) ، وأيد افتراضه بقوله : "يوجد غالبا مقابلات مضعفة للصيغ السابقة ، وهذا يعنى أن العقل السامى كان يعتبر هذه الصيغ المزيدة مقابلة للصيغ المضعفة ، واستخلص نتيجة مفادها أن "الحروف المائعة تعدّ وسيلة مخالفة للتضعيف فى الصيغ المضعفة القديمة"[٣١] .

١-إبدال أحد المثلين راءً :

الراء من أوضح الأصوات الساكنة فى السمع ، وعند التقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلى الثنايا العليا ، يتكرر فى النطق بها ، كأنما يطرق طرف اللسان حافة الحنكة طرقا لينا يسيرًا مرتين أو ثلاثًا ؛ لتكون الراء العربية . وهى من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة ، ومجهورة ، وهذه هى الصفات المميزة للراء التى نحن بصدد الحديث عنها [٣٢] .

ونذكر فيما يلى بعض الأمثلة التى أبدل فيها أول المثلين راءً

أ- (ج / ذ / ذ - ج / ذ / ر) :

- فى العربية قال ابن فارس : "الجيم والذال أصل واحد إما كسر وإما قطع يقال : جذّ الشىء جذًّا : قطعة [٣٣] . وفى العبرية גזר : (قطع) ، وفى السريانية gαd و(جَذّ) : قصّ الشعر [٣٤] ومن أمثلته العبرية וַיִּגְזֹר אֶת־שְׂעַר רֹאשׁוֹ .
- أما مادة (ج ذ ر) فهى فى العربية تدل على أصل كل شىء ، كما تدل على القطع يقال : جَذَر الشىء : قطعة[٣٥] . وفى العبرية גזר :

(قطع ، قسمّ) حسم الأمر ، وفى السريانية gdar و (مزّق ، صمّم على) ومثاله فى العبرية  (מקצה ארץ)[٣٦] .

ب- (ج / م / م - ج / م / ر) :

- فى العربية تدل مادة (جمر) على التجمّع ، قال ابن فارس : "الجيم والميم والراء أصل واحد يدل على التجمع ، يقال : جمر القوم على الأمر : اجتمعوا جمعا كثيرًا [٣٧] والمادة فى العبرية تعنى الكمال والانتهاء ، يقال  : أكمل ، أنهى يقال :  "[٣٨] .

ويبدو لنا أن الراء هنا مبدلة من أحد المثلين فى مادة (ج/ م/ م) جاء فى العربية : قال ابن فارس : "الجيم والميم فى المضاعف أصلان : الأول كثرة الشىء واجتماعه ، والثانى عدم السلاح "يقال : جمّ الشىءُ جمًّا وجمومًا : اجتمع وكثر" [٣٩] والمادة نفسها فى العبرية تدل على الجمع والربط ، فالفعل  : (جمع ، زوّد ، ربط) ، وفى السريانية gam : (امتلأ) [٤٠] .

جـ- (ق/ ص / ص - ق/ ر / ص) :

جاء فى المعجم الوسيط : "قصّ الثوب وغيره : قطعه المقص . وقصّ ما بينهما : قطع . وهو المعنى الذى تؤديه مادة (ق ر ص) ، يقال : قرص العجين : قطعه ليبسطه قرصًا أو قرصة قرصة ، والقُرْص : قطعة مبسوطة مستديرة .. [٤١] .

ونظير ذلك فى العبرية  = (قطع - بتر ، دمّر) وهو المعنى المذكور مع الفعل  (قطع - قرص - شكّل) ، وهو المعنى الذى نجده للفعل  (قطع - حصد - قلّ) [٤٢] .

د- (ع / ق / ق - ع / ق / ر) :

- فى العربية : عقر الرجل عن حاجته : قطعة عنها ، وعقر النخلَ عقرًا : قطعها من رأسها ، ويبدو أن الراء هى مبدلة من القاف فى مادة (عـقّ)، يقال : عقّ رحمه : قطعها ، وعقّ ثوبه : شقّه[٤٣] .

والأمثلة العربية كثيرة ، أذكر منها (تبّ وتبر كلاهما بمعنى الـــهلاك) و(بطّ وبطر بمعنى شقّ) ، و(ترب وتبّ كلاهما بمعنى هلك وخســـر) و(ســكّ وسكر بمعنى أغلق) و(نفّ ونفر بمعنى ضرب فى الأرض) و(نقّ ونقر بمعنـــى صوّت) .

وفى اللغة العبرية نجد المعانى ذاتها عند الاتفاق فى حرفيـــن ، وجـــاء الحرف الثالث راء فى مقابل أحد المثلين ، ومن ذلك לְקַר و לְקַח كلاهما يعنى : اجتثّ ، استأصل ، قطع . ومن أمثلته לְקַרֵחַ לְבִלְאֹם [٤٤] وكذلك קָמַל اعتدل ، ارتفع ، وفى العبرية קָמַם كَمَل ، اعتدل .

ولا شك فى أن إبدال أحد المثلين راء هو من قبيل التقـــارب الصوتـــى والدلالى بين الكلمات ، وهذا الإبدال ليس من باب العموم لدينا ، ولكنه من باب الغلبة من خلال الأمثلة التى ذكرناها ، وهذا احتراز أردنا به أن نقول : لدينـــا من أمثلة المضعف الثلاثى التى لا تتفق مع كلمات اشتركت معها فى حرفيـــن وثالثهما الراء إلا عن طريق التكلف فى تفسير الصوتى والدلالى .

٢-إبدال أحد المثلين نونا :

النون صوت مجهور ، متوسط بين الشدة والرخاوة ، يلتقى فى نطقـــه طرف اللسان بأصول الثنايا العليا . وفى صوت النون ألفـــت كتـــب مســـتقلة وكتبت فصول فى كتب القراءات تناولت أحكام النون من إظهار وإخفاء وإقلاب وإدغام . ولسنا فى مجال توضيح هذه الأحكام النونية وإنما ســـنركز البحـــث

والتنقيب فى بطون المعاجم العربية والعبرية لنستخلص ما تم فيه إبدال أحد المثلين نونا من خلال ألفاظ اشتركت فى المعنى ، واختلف اللفظ فى حرف واحد هو النون المبدلة من أحد المثلين ٠

وفيما يتصل بهذه المسألة قال الدكتور مصطفى جواد : "لما كان التضعيف ثقيلا لم يكن بدّ من إبدال أحد المضعفين حرفا خفيفا ٠٠٠ ومن أجل ألفة النون وخفتها ورقتها أبدل أحد المضعفين نونا فى كثير من الكلم المضعفة ٠٠٠ فقد قالت العرب : كنّأت اللحية وكنثأت ، أى طالت وكثفت ، فالذين لم يعرفوا القاعدة عدوهما فعلين مستقلين - وقالوا : إن النون زائدة ، والصحيح هو ما ذكرته من إبدال"(٤٥) ٠ ويفهم من النص السالف الذكر أن صوت النون فيه من الخفة والرقة ما يجعله شبيها بأصوات العلة ، وهذا ما سوّغ إبدال أحد المثلين نونا ، وساعد على التخلص من الصعوبة الكامنة فى نطق مثلين متتاليين فى كلمة واحدة ٠

أ- (ج / ر / ر - ج / ر / ن) :

- فى العربية : قال ابن فارس : "الجيم والراء أصل واحد ، وهو مدّ الشئ وسحبه" ٠ يقال : جرّ لشئ : جذبه وسحبه(٤٦) وهذه المادة تلتقى مع مادة (جرن) فى المعنى ، فكما قال ابن فارس : "الجيم والراء والنون أصل واحد يدل على اللين والسهولة" يقال : جرن فلان على العمل : ألفه قد رب فيه ولان له (٤٧) ٠

وفى العبرية : גָּרַר تعنى (سحب ، جذب) ، وفى السريانية gar (سحب) ، وفى الحبشية garara : (خضع) ٠ وهذه المعانى وردت مع الفعل גָּרַף : (مهّد - أعدّ)(٤٨) ٠

ب- (ح / ز / ز - ح/ ز / ن) :

- فى العربية : قال "ابن فارس" : "الحاء والزاء أصل واحد ، وهو الفرض فى الشئ بحديدة أو غيرها ثم يشتق منه" ٠ ويقال : حزّ الأمر فى نفسه: أثر فيها ٠ ونجد المعانى متقاربة مع مادة (حزن) التى تعنى فى العموم الهمّ، والخشونة والشدة ، يقال : حزِن المكان حزنا : غلظ وخشُن وحزِن فلان حزَنًا : اغتمّ [٤٩] ٠

وفى العبرية חזן : جذر غير مستخدم معناه : حزّ ، قطع ، جرح ٠ وفى الحبشية hazana خشُن ، غلُظ ، غمّ ، حزَن [٥٠] ٠

ج- (ر / ض / ض - ر / ض / ن) :

- فى العربية : رضّه رضّا : دقّه أو كسره ، ورضنه رضنا : ضم بعضه إلى بعض ، نضّده أو رشقه ٠

وهذه المعانى العربية وردت فى العبرية مع مراعاة أن الضاد تتحول إلى صاد ، فالفعل רצץ يعنى (كسّر ، حطّم ، سحق) ، والفعل רצם يعنى (تفاقم - ازداد خطورة) ٠

د- (ص / ف / ف - ص/ ن / ف - ص / ف / ن) :

- فى العربية : قال ابن منظور : "صفّ الجيشَ يصفُه صفًا : أقامهم فى الحرب صفا ٠ وصفّت الطيرُ فى السماء تصف : صفّت أجنحتها ولم تحرّكها" [٥١] والصيغة الأخرى أبدلت فيها الفاء الأولى نونًا ، ومنه فى العربية : الصِّنف : النوع والضرب من الشئ ، وجاء فى اللسان : صفن يصفن صفونًا : صفّ قدميه ، وخيل صُفُون : كقاعدة وقعود ٠٠ وقد قيل : الصافن : القائم على الإطلاق" [٥٢] ٠

وجاء فى العبرية קָשַׁח بمعنى ضغط ، كظّ ، شخّن ، حشر ، ويقترب من هذه المعانى الفعل קָשַׁר الذى من معانيه ضمّد ، شرّد ، لفّ ، ودحرج . ومن الأمثلة العبرية : הַאִם בְּקֶשֶׁר יַהֲלֹם - מְנִיעַ הַ שִׁבְלֵי כִימָה יְחַבֵּשׁ (٥٣) .

وتتمة لهذا الأمر نستعرض بعض الأمثلة فى العربية والعبرية أبدل فيها أحد المثلين نونا ، وإن لم يكن فى صورة المضعف الثلاثى :

أ-الهمزة والباء والباء (أبّ)

نجد هذه المادة فى العربية تدل على الاستقامة والقصد والتهيؤ والأبّ تعنى العشب رطبه ويابسه ، وكلمة (أبّا) فى قوله تعالى : ﴿ وفاكهة وأبا﴾ وردت فى نصوص التوراة بتوالى المثلين فى كلمة אֶבֶב ، وهى تعنى سنبلة خضراء ، وهى المعنى الموجود فى الكلمة العربية (أبّا) التى تعنى الخضرة والاخضرار . وهذه الكلمة المدغمة فى العربية ، وذات المثلين فى العبرية قد وردت فى الأكدية بإبدال أول المثلين (إنبو) ، وكذلك الآرامية (إنبا) وكلتا الكلمتين فى اللغتين تؤدى المعنى العام . وهو الخضرة (٥٤) وكلمة (أنبا) لدى المسيحيين بمعنى الأب الروحى أو المرشد ، ونتجت عن المخالفة الصوتية، فهى فى السريانية (abba) (٥٥) .

ب-لدينا كلمات عديدة أبدل فيها أول المثلين نونا ، أذكر منها :

חֲזִיר = خنزير	אַתּוֹן = أنت
חִטָּה = حنطة	עֵז = عنز
בַּת = بنت	אִתָּן = أنثى
שִׁבֹּלֶת = سنبلة	עַכָּבִישׁ = عنكبوت

وعلى أى حال فلدينا أمثلة عديدة تستدعى النظر ، وحسبنا ما ذكرنـــاه سابقًا ، ولنمضى إلى بقية ظواهر الإبدال لأحد المثلين ٠

٣-إبدال أحد المثلين لامًا أو ميمًا :

اللام والميم ضمن مجموعة الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخـلوة ، وقد ثبت أن هذه الأصوات كثيرة التغير والتبدل فى العربية وأخواتها ، وهـــى تتماثل فيما بينها من جهة أن الغالب على نطقها كلها الصـــوت الناشـــئ عـــن اهتزاز الأوتار الصوتية ، وكثيرًا ما رأينا إبدال بعضها من بعض ســـواء فـــى اللغة الواحدة ، أو بين العربية والعبرية كما فى אַלְמָנָה = أرملة ، وقـد أورد[٦] הדה גדר المادة بصورة حافظت على الراء واللام بـــدلا مـــن اللام والنون فى الصورة الأولى قال : " אַלְמָנָה هـــى אַנְמָנָה ، وكلاهما يعنى الزوجـة التى مات زوجها عنها"[٥٦] ٠ ولعل الســـبب وراء هـــذا التغير والتبدل هو قرب هذه الأصوات من الحركات فى أهم خواصها ، وهـــو قوة الوضوح السمعى ، وكونها مجهورة ٠

وأكتفى هنا بذكر بعض الأمثلة من العربية والعبرية التى تؤكد إبـــدال أحد المثلين لامًا أو ميما ، رغبة فى التخلص من توالى المثلين ٠

أ- (ج / ز / ز - ج / ز / ل - ج / ز / م) :

- فى العربية ، قال ابن فارس : الجيم والزاء أصل واحد ، وهـــو قطـــع الشئ ذى القوى الكثيرة الضعيفة ، وجزّ النخلَ : قطع ثمـــاره ، وجـــزّ الشاة قصّ صوفها وهذا المعنى يتقارب مع المعنى المذكور مع الفعـــل (جزل)، قال ابن فارس : الجيم والزاء واللام أصلان : أحدهمـــا عِظَـــمُ الشئ من الأشياء ، والثانى : القطع ، ومن أمثلته جزل الشئ : قطعـــه ، والجِزْل من التمر : القطعة العظيمة منه [٥٧] ٠

ونظير ذلك فى العبرية גָּזַז ، وفى الآرامية גְּזַז وفى السريانية gaz ، وفى الحبشية gazaza ، وفى الأوجاريتية gzz ، وفى الأكدية gazáz وبمعنى (جزّ الشعر) أو بمعنى (قطع) فى الجميع . وكذلك الفعل גָּזַל فى العبرية يدل على معنى قطع ، مزّق ، سلخ . ومن أمثلته : גָּזַל-וְגָזֵל אֵת כֶּסֶף הָרָעִים[٥٨]

وهذه المعانى الواردة فى الفعلين (جزّ - جزل) هى نفسها التى نقرؤها مع الفعل (جزم) . يقال فى العربية : جزم الشئ : قطعه ، وجزم الكلمة : أسكن آخرها، والجِزْمة : القطعة . وقال ابن فارس : "الجيم والزاء والميم أصل واحد ، وهو القطع" . ونظير ذلك فى العبرية גָּזַם : قطع ، أكل . وفى السريانية gzam : قطع ، عزم ، وفى الحبشية gazama : قطع[٥٩] .

ب- (ر / ك / ك - ر / ك / م) :

فى العربية نجد معظم الأمثلة للفعل (ركّ) تدل على الضم والجمع ، يقال : ركّ الأمر : ركم بعضه إلى بعض ، وحين نقرأ مادة : (ركم) نجد المثال: ركمه ركما : جمعه وألقى بعضه على بعض . والرُكَم : السحاب المتراكم .

ونظير ذلك فى العبرية الفعل المزيد بالتضعيف רִכֵּךְ ركّك ، لطف . ومنه רַכּוּת : لان ، رقّ ، ركّ . ويبدو أن المقابل العبرى للفعل العربى (ركم) يجئ بالقاف فى العبرية يقال : רָקַם صمّم ، شكّل ، طرّز ، ركّب ، و רִקְמָה = شئ مطرّز ، نسيج ، تركيب .[٦٠]

ج- (ر / ن / ن - ر / ن / م) :

فى العربية نجد مادة (رنّ) تدل على الصيحة الشديدة ، والصوت الحزين عند الغناء والبكاء ، يقال : رنّ رنينا : صوّت وصاح . وتلتقى هذه

المادة دلاليا مع مادة (رنم) ، فالرّنم : الصوت ، والرّنيم : الغناء يقال : رنم المغنى رنما : رجّع صوته ، فهو رنم وهو رنمة ٠

وفى العبرية نجد الفعل רָנַן يعنى : غنّى ، تهلّل ، صرخ من الفرع ابتهل ، و רִנָּה أغنية ، ويقترب منه فى المعنى الفعل רָמַם ومعناه ارتفع ، ارتقى ، أيّد ، آزر ، ومنه רָמַם = مؤيّد ، مؤازر ٠[٦١]

وما زال الأمر هنا يقتضى جمع مادة لغوية كافية من المعاجم العربية والعبرية ، ليستند إليها هذا الترجيح الظنى الذى نحسه من خلال الأمثلة السابقة، ولعلّ الأيام القادمة تساعدنا على استقصاء المادة الكافية للتحليل التطورى المقارن لإبدال أحد المثلين حرفًا متوسطا ، بحيث تعطى نتائجها ضوءاً أقوى ، وتفسيرًا أوفى ، واقتناعًا أشد من القدر الذى تيسر لنا الآن ٠

ثانيًا : إبدال أحد المثلين صوت منها (الواو والياء) :

يرى اللغويون العرب أن الأفعال المشتملة على أصوات المد الطويلة (الألف ، الواو ، الياء) هى مواد لغوية متطورة من مواد أخرى بحكم أن هذه الأصوات ليست من صلب الفعل ، وليست أحد عناصر الجذر وإنما هى متحولة عن صامت آخر ٠ وفى نظرى أن الألف — إذا لم تكن عماد الهمزة — لا تقوم بدور الحرف أبدًا ، وإنما تكون دائمًا فتحة طويلة ٠ أما الواو والياء فتقومان فعلا بدور الحرف حين تتحرك كلتاهما ، وتكون مدًا عند عدم الحركة ٠

ومما يلحظ فى هذا المجال أن الكلمة التى تشتمل على صوتين مثلين ، يقلب أحدهما غالبًا إلى صوت لين ، لتتم المخالفة بين المثلين ، وفى الغالب يكون هذا الصوت هو الياء ، كما فى الأمثلة التى أوردها سيبويه من نحو قصّيت فى قصصت وقضيت فى قضضت ٠ [٦٢] ولا شك أن المقارنة هنا تفيدنا فى معرفة اعتلالات تاريخية وقعت فى كثير من الأفعال المضعفة الثلاثية ٠

لقد ذهبت طائفة من الباحثين إلى أن الأصل فى الفعل المعتل إنما كان التضعيف ، ثم أبدل أحد المثلين صوت مد للمخالفة ، وهو أمر تؤيده أيضًا أمثلة اللهجات العربية القديمة من أنها مالت فى الأفعال المضعفة إلى المخالفة فأبدلت أحد المثلين فيها صوت مد ، من ذلك أن تميما تقول فى (يُملل يُملّى) ، وفى (يُفضض يفضى) ، وأهل الحجاز يقولون فى (جل يجلّ : جلا يجلو) ، وهو أمر يؤيده أيضًا ما نلاحظه فى طائفة من الأفعال المعتلة التى يبدو أنها نشأت عن طريق الإبدال فى الفعل المضعف .(٦٣)

وتوضح المقارنات بين العربية والعبرية أن اللغة العبرية زادت صوت الهاء كحرف مد حين يقع متطرفًا ، وأصبح الفعل المعتل اللام بالهاء يخضع لظواهر الإعلال ، شأنه شأن الأفعال التى تنتهى بصوت مد محض . ومن الجدير بالذكر فى هذا المجال أن هذه الهاء ترد إلى أصلها الياء فى معظم تصاريف الفعل الماضى ، وثمة أمثلة فى العربية توضح العلاقة بين الهاء والياء من ذلك : (سفيه وسفى ، نجيز ونجهّز) ، كما أن هذه الهاء عرفت بكثرة الانقلاب والتغير والسقوط فى آخر الكلمة ، وهى صفات عرفت بها أصوات المد العربية ، وهى الألف والياء والواو .

بقى أن أشير إلى أن إبدال أحد المثلين صوت مد سوف يؤدى إلى أن صوت المد الطويل يمثل قمة المقطع ، مما يستدعى بعض التحويرات النطقية مما يؤدى إلى الشعور بوجود قيمة لغوية لهذا التحول الصوتى ، وهو ما سنشير إليه من خلال الأمثلة العربية والعبرية التالية :

أ- (ج / ب / ب – ج و ب) :

- فى العربية : جبّه جبًا وجبابًا : قطعه . ومنه الحديث : "إن الإسلام يجبّ ما قبله " أى يقطع ويمحو ما كان قبله من الكفر والذنوب . وهذا المعنى هو نفسه للفعل : جاب فلان الشئ يجوب جوبًا : قطعه ، وجاب الصخرةَ :

نقبها . وفى التنزيل العزيز : ﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ ، وجاب الأرض والفلاة والبلاد : قطعها سيرًا . (٦٤)

ونظير ذلك فى العبرية גָּבַב : (قطع) ، وفى السريانية gubbā : بئر ماء . قال ابن فارس : "الجيم والباء فى المضاعف أصلان أحدهما : القطع، والثانى : تجمع الشئ . كما نجد الفعل الأجوف גָּזַז يعنى القطع والحفر . (٦٥)

ب- (ج / ز / ز - ج و ز) :

- فى العربية : جزّ النخلَ جزًّا وجزازًا : قطع ثمرها ، وجزّ الصوفَ جزًّا ، ونحوه : قطعه ، وكما قال ابن فارس : "الجيم والزاء أصل واحد وهو قطع الشئ . وكذلك مادة (جوز) تعطى المعنى ذاته ، يقال : جاز الموضعَ وبه: سار فيه وقطعه ، وجاز بفلان الموضعَ : قاده حتى قطعه . وقال ابن فارس : "الجيم والواو والزاى أصلان : أحدهما قطع الشئ والآخر وسط الشئ . (٦٦)

ونظير ذلك فى العبرية גָּזַז قطع ، وفى السريانية gaz وفى الحبشية gazaza ، وفى الأوجازيتية gzz ، وفى الأكدية gazaza وبمعنى جزّ الشعر أو قطع فى الجميع . وتؤدى المعانى ذاتها مع الفعل الأجوف גָּזָז أى جزّ العشب ، قصّ الشعر (٦٧) وقال ר ـ ש ז ר : "إن גָּזָז فى معنى גָּזַר وتعنى القطع" . (٦٨)

ولدينا عدد من الكلمات لا بأس به اتفق فيها الفعل الأجوف مع الفعل المضعف الثلاثى فى معانيه ، من ذلك גָּרַר و גָּרַר سحب ، مال و צָרַר و צָרַר ربط ، شدّ ، חָגַג و חָגַג عيدّ ، رقص ، دار . وقد أشار الدكتور إبراهيم السامرائى إلى أن "المضعف ولّد على طريقة

الإبدال والتعويض الفعل الأجوف ٠٠٠٠ نقول إن مادة (كنّ) الفعل المضعف أصل فى (كان) ومادة (جبّ) أصل فى (جاب) ، ومادة (صرّ) أصل فى (صار) ٠ وهناك أفعال جوف كثيرة لا سبيل إلى معرفة أصلها التضعيفى ، لفقدان استعماله وبعد العهد به ، فانقطعت الصلة ، وأصبح لمح العهد بذلك من الأمور الصعبة ٠ والدليل فى هذه السبيل الموحشة معالم لغوية احتفظت بها العربية تشير إشارة واضحة إلى الأصل التضعيفى الذى ذهبنا إليه ، وهو أن الكثير من هذه الأفعال الجوف مصادر تحتفظ بالحرف المضعف ، وفيما يلى ثبت بمصادر هذه الأفعال ٠

كان – كينونة ، جاب – جيبوبة ، دام – ديمومة ، غاب – غيبوبة ، بان – بينونة ، قال – قيلولة ، صار – صيرورة ، حال – حيلولة ٠ هذه المصادر وغيرها تشير إلى هذا الأجوف الذى جاء من المضعف ، فالألف فى صورة الماضى ، والياء والواو فى صورة المضارع تعويض من الفعل المضعف والباحث فى العبرية يجد شيئًا من هذا أيضًا ، فمادة (فرّ) تصبح (فور) كما تصبح (فرّ) فى العربية (فار) التى تحتفظ بالفكرة المعنوية فى (فرّ)٠ أما حرف الياء الذى لزم هذه المصادر ، فهو حشو مفيد ، ربما جئ به ، ليبعد الكلمة عن وزن الصفة وهى فعول"٠ (٦٩)

ج- (ح / ض / ض / ح ض ١ / (و) :

– فى العربية : حضّ فلان فلانا على الشئ حضا : حرّضه وحثّه٠ وفى القرآن الكريم (ولا يحضّ على طعام المسكين) الماعون/٣ ٠ وقال ابن فارس : "الحاء والضاد أصلان : البعث على الشئ ، والثانى : القرار المستقل"، وقريب من هذا مادة (حضا) يقال فى العربية : حضا فلان النار حضْوا : حرّك جمرها بعد ما همد ، ويقال : حضَوْت النار : إذا سعرتها ٠ قال ابن فارس :

"الحاء والضاد والحرف المعتل أصل واحد وهو هيج الشئ ويكون فـــى النـــار خاصة."(٧٠)

ونظير ذلك فى العبرية يرد بالصاد חָצַץ حجز ، قطـــع ــ مـــيّز وفى الحبشية ḥaṣaṣa : قصّر ، اختصر ، وفى الأكدية ḫaṣaṣau قسّـــم إلـــى قسمين . والفعل العبرى المعتل اللام تأتى فيه الهاء كحرف علة يقال חָצָה فصل ، شطر ، عبر ، اجتاز . قطع مجاجز . ومن أمثلته العبرية חָצַב (יְחַצְּבֶנָּה) יִתְּנֵם הָעָם וְיַחְצְבוּ יְהוֹשֻׁעַ .(٧١)

د- (د / م / م - د / م / ى :

- فى العربية : دمّ دَمامة : قبح منظره وصغر جسمه ، وحقـــر . ودمّ الأرض سوّاها ، ودمّ القومَ : أطحنهم فأهلكهم . والفعل (دمـــى) مـــن معانيـــه خروج الدم ، يقال : دمِى الجرحُ : خرج منه الدم ولم يسل . قال ابن فـــارس : "الدال والميم أصل واحد يدل على غِشيان الشئ."(٧٢)

ونظير ذلك فى العبرية דָּמָה و דָּמַם ، كلاهما يعنـــى : (سكت ، صمت ، خرس ، أباد) ، وفى الأوجاريتية dmm/dm : تأوّه ، توجّع، انتحب . وفى الأكدية dαmu : دم . وهى فى السريانية dmά : مائل ، شابه . وأيضا חָבַר و חָצַר ينعنى (اختار) ومثـــل חָצַץ و חָצָה أى : (قطع) . و חָדַד و חָדָה أى : (تحرك) .

ومن الواضح لدينا وجود عدد كبير من الأفعال الناقصة التى تتفق مـــع الأفعال المضعفة ، من ذلك חָבַב و חָבָה زاد ، نمى ، و חָפַף و חָפָה أخفـــى ، و חָסַס و חָסָה رشّ ، ردّ . وقـــد لخص المسألة الدكتور عمر صابر عبد الجليل حين قال : "إن الطبيعة الصوتيـــة

للغات السامية تكره النطق بتضعيف عين الفعل ، فتقيس فى بعض الصيغ الفعل المضاعف على نموذج الفعل الصحيح ، أى بفك التضعيف ، حيث يتم نطق صائت قصير بين الصامتين المثلين وفى البعض الآخر تقيس على نموذج الفعل الناقص اليائى أو الواوى . وهو الذى نفسر به مثل صيغ تظنّيت ، وتقصّيت وأمليت فى العربية وبالتالى نتفق بهذا التفسير مع بروكلمان وفيشر".(٧٣)

ونلخص ما سبق بأن المثلين ، أو المضعف الثلاثى ، بهما ثقل ، يزول بإبدال أحد المثلين صوت علة ، وهى أصوات فى غاية الخفة ، لا تحتمل أدنى ثقل ، والتغيير هنا لطلب الخفة ، وكل مثلين استثقلا فمجال التخفيف فيهما بالنظر إلى أصوات العلة لتحل محلهما أو محل إحداهما ؛ إذ إن أصوات العلة تتميز بميزتين هما الوضوح السمعى ، والجهر، وحرية مرور الهواء فى أثناء النطق بها . ولدينا من الأمثلة العربية ما يؤكد هذه النتيجة .

- زلّ / زال + تنحّى وتحول وانتقل
- شكّ / شاك = آذى ووخز
- قَضّ / قاضى = هدم ، دقّ ، كسر
- زحّ / زاح = باعد — وهى فى العبرية זָחַח، זָחַח = تحرّك

ثالثًا : إبدال أحد المثلين حرفا حلقيا

احتفظت اللغة العربية بأصوات الحلقة الستة (أ ، هـ ، ع ، ح ، غ ، خ) واكتفت العبرية بأربعة رموز كتابية من هذه الأصوات وهى (א، ה لد ח) ، وفى الأكادية لا يوجد من تلك الأصوات إلا صوت الخاء ، فى حين أن بقية أصوات الحلق قد اندمجت فى الهمزة ، ولكن هناك دلالات على أن الأكادية كانت تمتلك كل تلك الأصوات فى مرحلة مبكرة من تاريخها . ومن جملة التحولات التى طرأت على هذه الأصوات الحلقية تحول الخاء إلى حاء فى العبرية والآرامية ، وتحول الغين إلى عين فيهما وفى الحبشية .

ولعل التفسير الأصوب لظاهرة سقوط الأصوات الحلقية من بعض هذه اللغات هو المبدأ اللغوى العام المعروف بقانون الجهد الأدنى ، أى : نزعة اللغات عامة إلى اختصار الجهد العضلى فى النطق ، فالأصوات الحلقية تختلف فى درجة اقتضائها للجهد العضلى ، ويبدو أن أكثرها اقتضاء لهذا الجهد أخذ ينحسر ويحلّ غيره محله (٧٤) . وتؤثر هذه الأصوات الحلقية الفتح تحتها وتحت الحرف السابق عليها فى العبرية ، كما لا يدخلها التشديد ، ويعوض عنه بإطالة الحركة السابقة عليه ، ومن أمثلة ذلك :

בֹּנֶה = (يصنع) בַּנָּאִי = (من مدينة) .

ولا غرابة إذن أن يقول لنا "بروكلمان" : "فى كل اللغات السامية كثيرا ما تتحول حركة المضارع من الضم أو الكسر إلى الفتح ، إذا كانت عينه أو لامه صوتا حلقيا ، فالفعل (فتح) مضارعه فى العربية : (يفتح) ، وفى الحبشية yeftáḥ وفى العبرية yiftaḥ ، وفى السريانية neftaḥ ، وفى الأشورية ipte (من : iptah) "[٧٥] .

بقى أن نذكر أمثلة للأفعال الثلاثية المضعفة التى أبدل أحد حرفيها حرفًا حلقيًا

أ-ج / ز / ز - ج / ز / أ - ج / ز / ع

- فى العربية : الفعل (جزّ) له أصل واحد ، وهو القطع ، وهو المعنى الشائع فى سائر اللغات السامية ، فهو فى العبرية גָּזַר (قطع) وفى السريانية gaz ، وفى الحبشية gazaza ، وفى الأوجريتية gzz وفى الأكدية gazazu وكلها أطفال متقاربة تؤدى معنى جزّ الشعر أو قطع .

ولو تأملنا الفعل العربى (جزأ) نجد من معانيه جَزَأَ الشئ جَزْءا ، قسّمه أجزاءً ، والجُزْء : القطعة من الشئ . أما الفعل العربى (جزع) فهو لم يفارق معنى القطع ، ، يقال : جزع الشئ جزعًا : جزأه وقطعه ، وجزع الحبل :

قطعه من وسطه . وفى العبرية نجد الفعلين גזר و גזז بمعنى قطع . وفى السريانية gzα' بمعنى (قطع) ، وفى الحبشية gαzez'α : (قطع بالمنشار) [٧٦] .

ب- ج / م / م - ج / م / أ - ج / م / ع

فى العربية : جمّ يجُمّ جَمّا : اجتمع وكثر فهو جمّ . وجمّ الماءَ ونحوه : تركه ليجتمع . ومعنى الجمع يرد أيضًا فى مادة (جمأ) يقال : تجمأ فلان فى ثيابه : تجمّع ، وتجمّأ القوم : تجمعوا . ومادة (جمع) بلفظها تتفق مع معانى (جمأ - جمّ) التى تدل على الجمع . ومن أقوال ابن فارس : "الجيم والميم فى المضاعف أصلان : الأول : كثرة الشئ واجتماعه ، والثانى : عدم السلاح" [٧٧] .

ويبدو أن العبرية قد طورت مدلول هذه الأفعال المتقاربة لفظا ومعنى . فالفعل גמא يعنى : (جمع ، ربط) والفعل גמל يعنى : عبّ ، شرب، بلع ، وهى المعانى ذاتها مع مادة (ג מ ל) يقال : גמא، تعنى شرب ، بلغ ، جرع . وقال אבן עזרא : إن גמל هى גמא وكلاهما يعنى جرع (גמא) و גמל = בלע שרבו"[٧٨] .

ج- ك / د / د - ك / د / ح - ك / د / هـ

فى العربية : يقول ابن منظور : "الكدّ : الشدة فى العمل ، وطلب الرزق ، والإلحاح فى محاولة الشئ ، والإشارة بالإصبع يقال : هو يكُدّ كدًّا - وفى المثل : يجَدّك لا يكدّك "[٧٩] وهو المعنى الذى ذكره مع العقل (كدح) قال : "الكدْح : العمل والسعى والكسب والخدش .. قال أبو إسحق : الكدح فى اللغة: السعى والحرص والدُّؤوب فى العمل فى باب الدنيا وباب الآخرة .. وكدح

رأسه بالمشط : فرّج شعره به" [٨٠] أما مادة (كده) فقد رآها ابن منظور لغة فى (كدح) حيث قال : "كده لأهله كدها : كسب لهم فى مشقة ٠ وكدّه يكدَه : لغة فى كدح يكدح ٠٠ وكده رأسه بالمشط وكدّهه : فرّقه به ٠ والحاء فى كل ذلك لغة" [٨١] .

ونظير ذلك فى العبرية بالقاف פ ד ר الذى يدل على أثر السعى والعمل الشديد ، فمن معانيه : (نقب – حفر – نقر) وهى المعانى نفسها للفعل פ ר ח = (نقب – حفر – نقر – شاط – أحدث ثقبا) ٠ وقد أشار "جزينيوس" إلى أن " כ ד ד هى بالآرامية כ ד ר التى تعنى الكدّ والسعى" [٨٢] أما الفعل (פ ר ח) فقد رأى ר ، ב ק – ש ו ח ק أن معناه (ח ם ה) أى : توعّكَ – تمرّض ٠ ومن معانيه أيضا – كما ذكر ב ק ח ו ר أى : ثقب ثقبًا ، حفر فتحه" [٨٣] ومن الأمثلة العبرية : ב ד ר و ב ד ח = تحوّل ، تحرّك ٠ و ח צ ץ و ח צ ה = فصل ، قطع ٠

وهكذا يكون التبدل الصوتى بين المثلين المتتاليين وأصوات الحلق قد ورد فى الأمثلة السابقة ، والذى ينقب فى المعاجم العربية والعبرية سيقف على أمثلة عديدة ، وهذه لها مؤلفها المستقل إن شاء الله ٠

ومجمل القول أن بعض المواد التى ورد فيها الفعل الثلاثى المضعف قد كانت فى البداية ثلاثية ، ذكر فيها المثلان مكان العين واللام ، ويبدو ممكنا بيان هذا الأصل من خلال المصادر الثلاثية والمشتقات ، ثم لجأ المتكلم إلى الاقتصاد فى المجهود العضلي ، فكان الإدغام للمثلين أحد الحلول الممكنة ، وبعد أن اتسعت دائرة المتكلمين كانت الحلول الأخرى بإبدال أحد المثلين صوت مد أو صوتا متوسطًا أو صوتا حلقيًا ، وبهذا تلوّنت المواد وتنوعت المعانى الخاصة بها ، غير أنها تنبئ صوتًا ومعنى بما يشى بردّها إلى أصل واحد ٠

وقد سعيت جاهدًا متابعة النظر فى أصول الجذور المعجمية فى العربية والعبرية ، باحثًا عن إمكان تفرع جذر من جذر به وجد المثلان ، وجاء اللفظ والمعنى هما عصاى أتوكأ عليها فى تأكيد ظاهرة التخلص من المثلين فى صورة الإدغام أو الحذف أو الإبدال ٠

وقد راعينا فى الأمثلة المذكورة أن تكون من الشيوع بحيث يعتدّ بها فى معرفة الأصل التاريخى ، ولا شك فى أن المعنى المذكور فى الأكدية ، والآرامية وكذلك العبرية يؤكد لنا أصالة المعنى الموجود فى العربية ، فهذه النصوص القديمة فى هذه اللغات بما فيها من ألفاظ ومعان قديمة تؤصل لنا ما يشبهها فى العربية التى دونت حديثًا إذا قيست بهذه اللغات المدونة قبل الميلاد ٠ وأرجو الله أن يتيح لى الفرصة لمواصلة النظر فى مزيد من الجذور اللغوية فى العربية والعبرية ٠

* *

الخاتمـــة

وفى نهاية هذا البحث نوجز أهم النتائج التى برزت فى هذا العرض :

١-أظهرت الدراسة أن معظم الجذور الثلاثية التى كـــانت ثنائيـــة الأصـــل صارت ثلاثية بعد أن مرت بمرحلة خالية من الثبات والاستقرار ٠ ويبدو أن الثلاثى المضعف قد بدأ بحرفين ثم تكرر الحرف الثـــانى ، فصـــار عين الفعل ولامه من جنس واحد ، ومن هنا تبدو العلاقة المعنوية بيـــن الأفعال (دكك ، دكّ) ، (دكم ، داك) ٠ وأيضًـــا (ربـــب ، ربّ ، ربـــا ، راب) ٠٠ إلخ٠

٢-أكدت الدراسة أن مجئ المثلين المتتاليين فى الفعل الثلاثى المضعف هـــو الأصل اللغوى القديم ، وفى مراحل زمنية لاحقة وجد الإدغام أو الحـذف أو الإبدال لأحد المثلين ، وهى ظواهر عارضة ، طارئة فى اللغـــة ، ولا تمثل القديم ٠

٣-كشفت الدراسة أن تحوّل أحد المثلين إلى الإدغام أو الحذف أو الإبـــدال وراءه تخفيف النطق ، والتيسير فى الجهد العضلى المنطوق الذى يبحـــث عنه المتكلم دائمًا ٠

٤-وضّحت الدراسة أن اللغتين العربية والعبرية مملوءة بالشواهد الحيّة التى تدل على الأصل اللغوى القديم الذى نعنى بـــه ذكـــر المثليـــن متتـــاليين فـــى الثلاثـــى المضعـــف ﴿ فليملـــل الـــذى عليـــه الحـــق ﴾ ، و סָבַב أحاط٠

٥-رجّحت الدراسة أن النظام المقطعى فى العربية الفصحى يسعى دائمًا إلى التخلص من توالى المثلين فى الفعل الثلاثى المضعف ، وذلـــك بحـــذف الفتحة القصيرة الواقعة فى نهاية المقطع الثانى ، ومن ثم يكون الإدغـــام

الذى يختصر الفعل الماضى المجرد إلى مقطعين فقط مَدْ / دَ بدلا من مـَ / دَ / دَ فى حين أن اللغة العبرية يشيع فيها وجود المثلين فى هذه الصورة الفعلية ويقل فيها الإدغام ٠

٦-ومن مظاهر السهولة والتيسير ، التى تلجأ إليها اللغات فى عمومها حذف الأصوات العسيرة فى النطق أحيانا ، وقد أثبتت الدراسة أن الحذف استخدم كوسيلة تخفيف فى صورة الماضى أكثر من المضارع والأمر ، وهو حذف فصيح لكثرة استعماله فى العربية والعبرية ٠ وقد مرت بنا أمثلة عربية وعبرية تعرّض فيها أحد المثلين للحذف ، بعد أن اطمأن القائل إلى إيصال فكرته بشئ من الاقتصاد اللغوى الذى يؤدى المعنى بجهد لغوى قليل ٠

٧-إن نزعة اللغات نحو التيسير والسهولة نراها فى إبدال أحد المثلين حرفا آخر ، قد يكون هذا الحرف حروف اللين أو الحروف المتوسطة أو حروف الحلق ٠ وقد أثبتت الدراسة وجود صلة لفظية بين هذه الأصوات المبدلة ، فالأصوات المتوسطة تشبه أصوات اللين فى أهم خواصها وهى قوة الوضوح السمعى ، كما أن أصوات الحلق تقترب فى اللغتين من أصوات اللين ، وتتسم بالخفة والرقة بدليل إظهارها وعدم إدغامها فيما قبلها ولا فيما بعدها ، وهذه الصلة سوّغت إحلال أحدهم محل أحد المثلين كوسيلة للتخلص من الصعوبة الكامنة فى نطق المثلين فى كلمة واحدة ٠

٨-رصدت المقارنات السامية أن الفعل الثلاثى المضعف قد تعاقب عليه مجموعة من التطورات الصوتية ، ومع مسوغات هذا التطور الصوتى الذى يوحى باتفاق المعنى بين الأقدم والأحدث من الصيغتين ، فقد ثبت لنا أن الإبدال قد أدى أحيانا إلى تباين فى المعنى ٠ وما زالت الأمثلة المتوفرة لدينا من المعجم العربى والمعجم العبرى تؤكد أنه على الرغم من وجود تباين فى المعنى ، فما زال المعنى العام للصيغتين واحدًا ، مما

يؤكد أن الصيغة التى وجد فيها المثلان هى الأم ، والصيغة التى أبـــدل فيها أحد المثلين هى المتطورة لدينا ٠

٩-أثبتت هذه الدراسة فى جزء كبير منها أن الأفعال الثلاثية المضعفة التـــى حدث معها إبدال أحد المثلين هى أفعال تدل على القطع والشـــق والـــهدم والكسر ، وقد ظهر ذلك فى اللغتين العربية والعبرية ، وكأن هذه الأفعال فى أصلها تدل على حكاية أصوات الطبيعة والحيوانات ٠

١٠-الطريقة التى اتبعناها فى البحث هى محاولة الربط بين الأصل المضعف الثلاثى ذى المثلين ، والصورة المتطورة عنه بالإدغـــام أو الخـــذف ، أو الإبدال ، وتوضيح العلاقة المعنوية بينهما ، وما زال هذا الربط اللفظـــى والمعنوى فى حاجة إلى مزيد من الدراسة والتأمل ؛ لنستطيع فى النهايـــة الكشف عما بين ألفاظ اللغة العربية كلها من روابط ، وما بين أصولـــها القديمة من أواصر وعلاقات ٠ ونؤكد ذلك برأى البحث المقارن للغـــات السامية من خلال الأمثلة التى تتفق لفظا ومعنى مع الأمثلة العربية ، فبين اللغات السامية أصول مشتركة تجعلها أكثر ترابطًا من غيرها من الأســـر اللغوية ، بسبب احتفاظ هذه اللغات بغالبية عناصرها اللغوية القديمة ٠

والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب ،،

الهوامش والمراجع

---

(١)التطور النحوى للغة العربية لبرجشتراسر ص٢٩ ، تعليق د٠ رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٨٢م ٠

(٢)الكتاب لسيبويه ٤٣٧/٤ ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م ٠

(٣)المرجع السابق ٤١٧/٤ ٠

(٤)الخصائص لابن جنى ٩٤/١-٩٥ ، تحقيق الأستاذ محمد على النجار — طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٢ ٠

(٥)شرح التصريف للثمانينى ، ص٤٥٢-٤٥٣ ، تحقيق ، تحقيق د/ إبراهيم بن سليمان النعيمى ، مكتبة الرشد ، الرياض ، السعودية ١٩٩٩م ٠

(٦)الكتاب لسيبويه ٤١٨/٤ مرجع سابق ٠

(٧)انظر تفصيلا أكثر [illegible] ص١٤ ٠

(٨)المرجع السابق ص٢٣٦ ٠

(٩) Elements of Hebrew p 103. Willim . R . Harper Chicago 1886 .

(١٠) انظر ص٢٤٦ مرجع سابق ٠

(١١) السابق ص[illegible] ٠

(١٢) انظر : أسس علم اللغة (ماريو باى ص١٤٦ ، ترجمة د٠ أحمد مختار عمر) ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٨٧م ٠

(١٣) اللغة لـ فندريس ، تعريب عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص ص٤٨ - القاهرة ١٩٥٠م ٠

(١٤) دروس فى علم الأصوات العربية لـ كانتينيو ص٢٥ ٠

(١٥) انظر تفصيل القول حول هؤلاء العلماء فى (المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى ص٩٧ ، د٠ رمضان عبد التواب) القاهرة ١٩٨٥م ٠

(١٦) [illegible] ص٥٣٦ مرجع سابق ٠

(١٧) راجع فى ذلك : فقه اللغات السامية لبروكلمان ص٧٩ ، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ، مطبوعات جامعة الرياض ١٩٧٧م ٠

(١٨) الخصائص لابن جنى ٣٦٠/٢ مرجع سابق ٠

(١٩) لسان العرب لابن منظور ، مادة (ظلل) ٢٥٩/٨ ، دار إحياء التراث العربى بلبنان ١٩٩٢م ٠

(٢٠) انظر فى ذلك : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ص٣١٤ ، تحقيق محمد كامل بركات ، دار الكتاب العربى ١٣٨٧هـ ، وأيضا شرح التصريف للثمانينى ص٥٢٠ مرجع سابق ٠

(٢١) انظر فى ذلك : حاشية شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى - والإشارة هنا للشيخ ياسين العليمى ٣٩٧/٢ ، دار الحلبى بمصر ١٩١٨م ٠

(٢٢) فقه اللغات السامية ص١٥٦ مرجع سابق ٠

(٢٣) انظر الحديث فى صحيح مسلم بشرح النووى ٣٥/٢ ٠

(٢٤) الكتاب لسيبويه ٥١٩/٣ ٠

(٢٥) راجع فى ذلك (فى النحو المقارن بين العربية والعبرية ص٤٠-٤١ الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ٢٠٠٢م ٠

(٢٦) انظر : الصحاح للجوهرى مادة (أنن) ٢٠٧٣/٥ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، مطبعة دار الكتاب العربى بمصر ، ١٣٣٧هـ ٠

(٢٧) من هؤلاء العلماء الباحثين لظاهرة الإبدال فى مؤلف مستقل الدكتور على البواب فى كتابه (الإبدال اللغوى) وأيضًا (إبدال الحروف فى اللهجات العربية لـ سلمان بن سالم السحيمى وآخرين ٠ ومن كتب الإبدال التى تخصصت فى مجال المقارنات السامية كتاب (الإبدال فى ضوء اللغات السامية : دراسة مقارنة للدكتور ربحى كمال) ٠

(٢٨) للمزيد حول هذا الموضوع انظر : الخصائص لابن جنى ٢٣١/٢ مرجع سابق ، وبحوث فى فقه اللغة ص١٩٥ د٠ رمضان عبد التواب د٠ت ٠

(٢٩) اقرأ فى هذا مؤلفات علم الأصوات ، مثل الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ، وعلم الأصوات للدكتور كمال بشر ، والمدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب ص٤٧ مرجع سابق ٠

(٣٠) للمزيد حول وصف هذه الأصوات ينظر فى ذلك : الأصوات اللغوية د٠ إبراهيم أنيس القاهرة ١٩٩٠م ٠

(٣١) انظر : دراسة الصوت اللغوى ص٣٣٠ د٠ أحمد مختار عمر ، عالم الكتب القاهرة ١٩٧٦م ٠

(٣٢) لمزيد من التفصيل عن صوت الراء ، انظر : الأصوات اللغوية ص٦٦ – مرجع سابق ٠

(٣٣) انظر : مقاييس اللغة لابن فارس ، مادة (جزز) تحقيق أ٠ عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى الحلبى ، القاهرة ١٩٦٩م ٠ وانظر أيضا : المعجم الكبير مادة (جزز) ١٥٢/٤ ، إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة – الطبعة الأولى ٢٠٠٠م ٠

(٣٤) מלון בית הספר ص٥٤ עברית – עברית

٠

(٣٥) انظر : المعجم الكبير ١٥٢/٤ مرجع سابق ٠

(٣٦) מלון בית הספר مرجع سابق ٠

(٣٧) المعجم الكبير ٥/٤ مرجع سابق ٠

(٣٨) מלון בית הספר ص٦٠ ٠ وأيضا מלון עברי עברי ص١٨ שמות לבדים ٠

(٣٩) المعجم الكبير ٥٤٧/٤ مرجع سابق ٠

(٤٠) السابق والصفحة ٠

(٤١) انظر فى ذلك مادتى (قرص ، قصص) فى المعجم الوسيط ص٧٢٦ ، ٧٣٩ إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة الطبعة الثانية ١٩٧٣م ٠

(٤٢) מלון בית הספר ص٤٦٦ وما بعدها ، مرجع سابق وكذلك מלון שמות ص٩٤ مرجع سابق ٠

(٤٣) انظر : المعجم الوسيط ص٦١٤ ، ٦١٦ مرجع سابق ٠

(٤٤) מלון בית הספר ص٣٩٦ ٠

(٤٥) للمزيد حول هذا الموضوع انظر : مقال (أثر التضعيف فى تطور اللغة) د٠ مصطفى جواد ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، العدد التاسع عشر ٠

(٤٦) انظر مقاييس اللغة لابن فارس مادة (جرر) والمعجم الكبير مادة (جور) ٢١٤/٤–٢١٥ ٠

(٤٧) المرجعان السابقان مادة (جرن) ٠

(٤٨) Gesenius Hebrew and English Lexicon p. 175, 176 .

(٤٩) انظر مادتى (حزز – حزن) فى المعجم الكبير – مرجع سابق ٠

(٥٠) المرجع السابق فى المادتين ، وأيضا
ص١٦٢ ٠

(٥١) انظر : لسان العرب ٣٦٣/٧ مرجع سابق ٠

(٥٢) السابق ٣٦٩/٧ ٠

(٥٣) للمزيد حول هذا الأمر انظر ص٤٤٣ ٠

(٥٤) انظر : المعجم اللغوى التاريخى لـ فيشر ص٦٧ ، القاهرة ١٩٨٣م ٠

(٥٥) غرائب اللغة العربية لـ روفائيل نخلة ص١٧٣ دار الشروق بيروت ط٤ ٠

(٥٦) انظر מלרם עברי מאת יהודה גור ص٦٥
٠

(٥٧) انظر : مقاييس اللغة مادتى (جز – جزل) ٤١٤/١ ، ٤٥٣/١ والمعجم الكبير نفس المادتين ٣٠٢/٤ ، ٣١٤ ٠

(٥٨) انظر מלרם בית הספר ص٥٤ ٠

(٥٩) Gesenius p. 159 .

(٦٠) מלרם עברי יהודה גור ص٩٦٢ ٠

(٦١) السابق : ص٩٦٥ ٠

(٦٢) الكتاب لسيبويه ٤١٧/٤ مرجع سابق ٠

(٦٣) للمزيد حول هذا الموضوع انظر : فى الأصوات اللغوية ص١٩٥ وما بعدها للدكتور غالب فاضل المطلبى، منشورات وزارة الثقافة العراقية ١٩٨٤م ٠

(٦٤) انظر : مادتى (جبب ، جوب) فى المعجم الوسيط ، مرجع سابق ٠

(٦٥) انظر : ص٤٩ ٠ مرجع سابق ٠

(٦٦) انظر : مادتى (جزز ، جوز) فى مقاييس اللغة لابن فارس ، مرجع سابق وكذلك المعجم الوسيط ، مرجع سابق ٠

(٦٧) المرجع السابق ٠

(٦٨) انظر : מלרם בית הספר ص٥٤ ٠ مرجع سابق ٠

(٦٩) فقه اللغة المقارن ص١٩٧–١٩٨ د٠ إبراهيم السامرائى ، دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٨٧م ٠

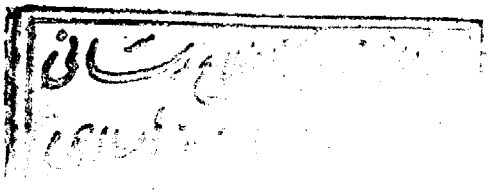

(٧٠) انظر : مادتى (حضض – حض) فى المعاجم الثلاثة : مقاييس اللغة – المعجم الكبير – المعجم الوسيط ، مراجع سابقة ٠

(٧١) انظر : מלון בית הספר ص١٨١ ٠

(٧٢) انظر مادتى (دمم – دمى) فى كل من مقاييس اللغة ، المعجم الوسيط ٠

(٧٣) للمزيد حول هذا الموضوع انظر : المعجم التأصيلى للفعل الناقص فى اللغات السامية ص٢٥ ، مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة العدد العاشر من سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية ٢٠٠٣م ٠

(٧٤) للمزيد حول خصائص الأصوات الحلقية انظر : فقه العربية المقارن ص٤١ ، للدكتور رمزى منير بعلبكى ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٩٩م ٠

(٧٥) انظر : فقه اللغات السامية ص٧١ – مرجع سابق ٠

(٧٦) للمزيد حول هذه الأفعال انظر المعجم الكبير ، مواد (جزأ – جزز – جزع) ٠

(٧٧) انظر : مادة (جمم) فى مقاييس اللغة ، المعجم الكبير ٠

(٧٨) انظر : מלון בית הספר ص٦٠ مرجع سابق ٠

(٧٩) انظر : لسان العرب مادة (كدد) جـ١٢/٤٣ مرجع سابق ٠

(٨٠) السابق والصفحة ٠

(٨١) السابق ١٢/٤٩ ٠

(٨٢) Hebrew and English by Gesenius p. 461 .

(٨٣) انظر : מלון בית הספר ص١٦٨ ٠

• • •